

مصر حاسد

محمد فتحي صبري



obeykandi.com

مصر حاسد

من أكثر من مائة عام، وفي إحدى قرى الريف المصرى، كان يوجد رجل يدعى حسين الشركستانى : كان رجلا ثريا، يمتلك مصنعا كبيرا لغزل ونسج القطن، يعمل فيه مئات العمال من أهالى القرية، كما يمتلك إلى جانب ذلك أراض زراعية شاسعة المساحة، والمئات من الحيوانات من الجاموس والأبقار، ولذلك كان أغنى





رجل في القرية وأعلاهم شأنًا، وأشدّهم نفوذًا ومهابه، لدرجة أنه ما أن يشاهد أهل القرية عربته التي تجرها الجياد تمر من أمامهم، ينتفض الجالس منهم واقفاً، وإذا مرت عربته أمام رجل يركب فوق حماره، أو حتى فوق جمل، يترك ركوبته وينزل من فوقها تأدبا ومهابه واحتراما لحسين الشر كستاني سيد البلده.

ومما زاد من احترام أهل البلده لحسين الشركستاني ومهابتهم له وأعجابهم به، أنه متى أقبل شهر رمضان المعظم، يدعو الفقراء والمساكين والذين يعتبرون هم أغلب أهل القرية إلى الأفطار بموائد الرحمن، التي يقيمها في معظم أنحاء القرية، فيقبل عليها معظم أهل القرية إلى جانب العاملين الذين يعملون بمصانعه وأراضيه الزراعية بعددهم الهائل ليتناولوا أفطار رمضان، ويستمر الأقبال على هذه الموائد طوال الشهر.. أما في الأعياد، فكانت كل أسرة في القرية من الفقراء وهم معظم أهل القرية على يقين تام بأن لهم نصيباً من لحم العجول والخراف التي يذبحها «حسين الشركستاني»، إلى جانب كساء العيد لأولادهم.. الأمر الذي يجعل أسم «حسين الشركستاني» يتردد دائماً على ألسنة الناس.

بيد أنه وبالرغم مما يتمتع به «حسين الشركستاني» بكل هذا الثراء الواسع والنفوذ العريض بين أهل القرية جميعاً، لكنه كان رغم كل ذلك لا يطيق أن يسمع بأن أحداً من أهل القرية قد حاذ بإعجابهم، لنجاحه في أى مجال من المجالات، فإذا حقق أحدهم نجاحاً نال أعجاب أهل القرية، يشعر «حسين الشركستاني» بالغيره



والحسد الشديدين من هذا الرجل الناجح، فيحاول بكل جهده وتفكيره أن يحطمه، أو ينحيه عن منصبه الذى نجح فيه..

فلا يهدأ ولا يرتاح له بال، حتى يتأكد من أن هذا الرجل الناجح، قد غادر القرية بلا رجعة، أو تلاشى أعجاب أهل القرية به.. ليكون هو.. «حسين الشركستانى» لاسواه، مناط أعجاب واحترام أهل القرية، والذي لا تتحدث الناس بإعجاب ألا عن شخصه فقط !

.. وكانت الوسائل التى يتبعها «حسين الشركستانى» لإقصاء أى رجل ناجح عن القرية أو صرف نظر أهل القرية عن الأعجاب به فى غاية البساطة، فيلفت نظر الناس إلى أى عيب من عيوب هذا الرجل الناجح، ليضيع بسببه إعجاب الناس به، وبصوره لا تخطر على بال أحدهم أبداً أنه يحاول أظهر عيوب هذا الرجل، بل يبدو لهم وكأنه يحاول مدحه، والعطف عليه.. فإذا وجد مثلاً رجلاً يتميز بثقافته عريضة، والتى يلتمسها الناس من حديثه الجذاب، فإنه يعلق مبدئياً رأيه فى هذا الرجل قائلاً: أن حديثه جذاب فعلاً. وهو رجل مثقف. ولكن للأسف. فإن كلامه غير عملى.

.. فيعطى ذلك انطباعاً لدى أهل القرية عن هذا الرجل المثقف ذو الحديث الجذاب، بأنه مجرد كلام لا قيمة له.

وإذا طرح أحدهم أفكاراً خاصة بمواضيع شتى، نالت إعجاب الجميع، فجعلتهم يمدحون مدى ذكائه ويشيدون برجائه عقله، وسعه آفاقه، يغتاز «حسين

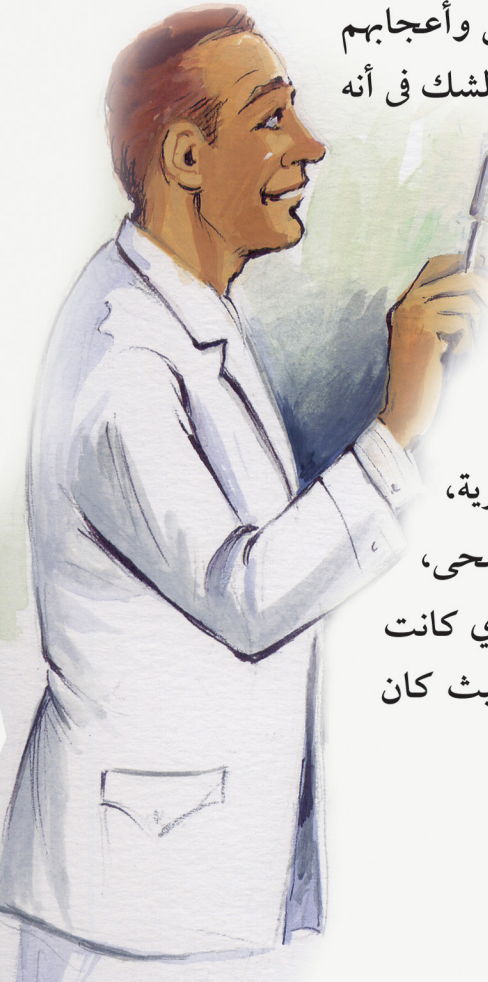
الشركستاني»، ويشعر بغيره شديده، ويتظاهر بأنه يثنى على أفكار الرجل، ويردف قائلاً :

صحيح أيها الناس. أن الحل لا يكتمل، فالأفكار جيده ولكنها ليست أفكاره، فلقد سمعتها من قبل من بعض أصحابى بمدينة القاهرة، فمن المؤكد أنه قد سمعها من أحد رجال المدينة.

.. فلا يصدق أهل القرية بعد ذلك، أن ما يطرحه الرجل من أفكار هي أفكاره هو، فيتلاشى بذلك أعجابهم به.

.. وهكذا كان حسين الشركستاني يستطيع أن يصرف أهتمام الناس وأعجابهم بأي رجل يصادف نجاحا بينهم، ولكن لا يتطرق إلى أى أحد منهم، الشك في أنه يحقد ويغير من نجاح هذا الشخص.

.. حتى جاء يوم، عاد فيه إلى القرية طبيب شاب يدعى «أحمد السداوى»، وهو ابن أحد المزارعين الفقراء بالقرية، كان يعمل بإحدى مستشفيات مدينة القاهرة، فلما علم أهل القرية بوجوده، أسرع بعض المرضى منهم إلى منزل والده ليكشف عليهم، ويصف لهم الدواء، فلما علم بذلك عمدة القرية، عرض عليه أن يقوم بإنشاء عيادة صغيرة بالقرية، لكي يوفر على كل من يمرض من أهل القرية عناء السفر إلى المركز الصحى، والذي يوجد في مدينة تبعد عن قريتهم عشرات الأميال، في الوقت الذي كانت لا توجد فيه حينذاك طرقاً ممهدة، ولا وسيلة ركوب سريعة، حيث كان



الانتقال بالحمير أو العربات التي تجرها الجياد، فكانت خاصة ببعض الميسورين، ولكن كان عددهم نادرًا.

.. ولذلك نالت الفكرة استحسان أهل القرية جميعا، وجعل كل منهم لا يفكر في شيء، عدا الكيفية التي يمكن بها تأسيس هذه العيادة، فيتبرع العمدة نفسه بدار له

تقع وسط بيوت الفلاحين، ليتخذ منها الطبيب الشاب «أحمد السداوي» عيادة له.. وراح كل رجل من أهل القرية يسارع بالتبرع، بقطعة من أثاث داره لتأسيس العيادة.. فلم يمض ألا أسبوعين فقط، حتى تم تجهيز عيادة تصلح للكشف، بل ولعمل تركيبات الأدوية، حيث كان العديد من الأطباء في هذا الوقت يقومون بتركيب الأدوية بأنفسهم.





وبدأ الطبيب «أحمد السداوى» يزاول عمله، بعدما قام بتدريب وتجهيز بعض الفلاحين من أهل القرية يجيدون القراءة والكتابة على التمريض، وخصص أحدهم لاستقبال المرضى، وعرضهم على الدكتور (أحمد السداوى)، للكشف طبقاً لأولوية الحضور، أو مدى صعوبة حالة المريض.

وأخذ المرضى من أهالي القرية يقبلون على العلاج في العيادة، والتي لم يجد أحد منهم مشقه في الوصول إليها، فهي تقع وسط بيوتهم.. فلم تمض ألا فترة وجيزة، حتى أظهر السداوى نبوغاً ومهاره غير عاديين، لدرجة أنه لم يقصد عيادته مريضاً، ألا وتم شفاؤه على يديه، ومن كان منهم مريضاً بمرض مستعصى ألا وقد قام على الأقل بتخفيف آلام المرض.. وبعد مرور شهرين فقط، صار

أهل القرية جميعا لا سيره لهم ألاعن براعة هذا الطبيب الشاب ابن القرية في العلاج.

.. وكانت أخبار هذا الطبيب النابغ، كلما تصل إلى آذان «حسين الشركستاني»، يشعر بالغيره والحسد الشديد من هذا الشاب الذى صار فجأة موضع أنظار الجميع، ولا حديث بينهم سوى نجاحه فى شفاء فلان وفلان من أبناء القرية.. حتى خيل لحسين الشركستاني أنه ما جاء هذا الطبيب الشاب إلى القرية، ألا لكى يمحو أسم حسين الشركستاني منها، بل ومن الوجود كله!

فتعاضم همه وبات لا ينم ليله ولا نهاره، وصارت حياته كلها جحيمًا، حتى أثر ذلك على عمله، فصار ينسى أشياء خاصه بعمله فى غاية الأهمية، كادت أن تؤثر على عمله، فجعل كل همه أن يصل إلى خطه للإطاحه بهذا الطبيب الشاب الناجح ابن أحد الفلاحين المعدمين عن القرية.





.. وظل يجمع شتات أفكاره ويعمل ذهنه لمدة وصلت إلى عدة أسابيع بأكلهما..
حتى تفتق ذهنه أخيرا عن فكره جهنمية.. فما أن توصل إلى هذه الفكرة، حتى اهتز
لها جسده كله طربا.

.. كانت الفكرة في غاية البساطة، ولكنها رغم ذلك في غاية الخطورة.. وهى
أن يطلق شائعة بين أهل القرية بأن الطبيب «أحمد السداوى» قد جاء إلى القرية
هاربا من عمله بمدينة القاهرة، لأن الأدوية التى كان يقوم بتركيبها قبل أن
يعطيها لمرضاه، أثناء عمله بإحدى المستشفيات بمدينة القاهرة، أسفرت عن
إصابة عددا كبيرا منهم، وأن السلطات المصرية تبحث عنه للتحقيق معه..
فهنا.. وعندما تتسرب هذه الشائعة بين أهالى القرية جميعا، سيحجم الجميع عن
الذهاب إلى العيادة، وسيأخذ أحمد السداوى مدة طويلة قد تصل إلى سنين..
حتى يثبت لأهل القرية أن هذه مجرد شائعة !!

ولكى لا يجعل «حسين الشرستاني» أحدا من أهل القرية يتطرق إليه الشك في أن هذه شائعة ، أرسل سرا في طلب رجل يعيش في مدينة القاهرة، كان قد تعرف عليه هناك بالمصادفة. ومن خلال متابعته وما سمعه من أخبار هذا الرجل، أدرك أنه رجل بلا ضمير، وهو على استعداد أن يفعل أى شىء.. حتى ولو القتل ، في مقابل المال.

فما أن أرسل «حسين الشرستاني» أحد رجاله سرا، وعاد وبصحبه هذا الرجل، حتى بادر حسين بمنحه مبلغا كبيرا، ووعدته بمثله بعد انتهاء الخطة، ثم قام بإخباره بأن يقول لمن يرافقونه من أهل القرية عند وصوله إلى محطة القطار، للعودة بالقطار إلى القاهرة، أنه أصيب بدهشة شديدة، عندما عرف بأن أحمد السداوى هو الطبيب الذى يعالج أهل القرية. فلما يسألونه بالطبع عن سبب دهشته هذه، يجيبهم قائلا:





لأنه هارب من التحقيق فيما نسب إليه
من خطورة الأدوية التي يقوم بتركيبها،
ويعطيها لمرضاه، والتي أدت إلي موت
عدد كبير منهم، وإصابة آخرين بأمراض
خطيره بعد مدة من تناولها.

.. وقام الرجل بتنفيذ الخطة كما اتفق،
وأنهاى حديثه بأن طلب منهم إبلاغ
«حسين الشركستاني» وأهل القرية بهذا
الامر الخطير، وألا حدثت كارثه.

فما أن سمع «حسين الشركستاني»
بهذا الخبر من بعض الرجال، تظاهر بأنه
فوجئ مفاجأة شديدة، ولكنه أردف قائلاً
في خبث وهو يتظاهر بالعطف على هذا
الطبيب الشاب :

لا يوجد أماننا للأسف سوى إبلاغ أهل القرية جميعاً، بخطورة هذا الأمر،
ليتجنبوا الإصابة بالأمراض الخطيرة، ولكن يجب أن تبلغوا كل رجل في القرية على
حده وفي سرية تامة، فالله قد أمر بالستر.

.. وهكذا نجحت خطة «حسين الشركستاني»، فقد أثار هذا الخبر دويا بين أهل القرية، فأحجم الجميع عن الذهاب إلى عيادة أحمد السداوى، خشية من الإصابة بالأمراض الخطيرة، وربما يضيع معها العمر !!

.. بيد أنه ، وبينما كان «حسين الشركستاني» يتفقد مصنعه الشاسع الاتساع، متابعة مدى صلاحية الآلات الحديثة التى كان قد استوردها من الخارج، لمضاعفة إنتاج مصنعه، فوجئ بإحدى الآلات لا تعمل بكفاءة، بالرغم من محاولات المهندس الذى حضر من القاهرة لتركيبها، وفقا لطريقة التركيب المرفقة بكل آلة، فحاول «حسين الشركستاني» معرفة السبب، وكان على دراية بنظام وتركيب كل آلة تدخل مصنعه، ألا أنه وبينما كان يضع يده داخل تجاويف الآلة، انحشرت بداخلها، فحاول أن يخرجها بقوة، فأدى ذلك إلى إصابته بجرح غائر عميق، فأطلق صرخة عالية، وفقد فى أثرها وعيه كاملا، فأثارت صرخته الرعب بين عمال المصنع جميعا، فهرعوا إلى مكانه ، ولما وجدوا الجرح غائرا وينزف بغزاره، صاح أحدهم فى فزع شديد :

يجب أن ننقله إلى عيادة الدكتور أحمد السداوى، فلا يوجد غيره .

ولكن اعترض العديد منهم، وصاح أحدهم فى خوف :

لا . ألم يكفى ما سمعناه عن ضحايا علاجه فى مصر !!

فآثروا أن ينقلونه إلى المركز الصحى، وعلى الفور، أسرع أحدهم إلى عربة «حسين الشركستاني» التى تجرها الجياد، وحملوه فوقها وهو فاقد الوعي تماما .

.. كان الطريق إلى المركز في غاية المشقة والأنحدار، وقد كادت العربة تنزلق بمن عليها أكثر من مره لوعورة الطريق، ومن كثافة الطمي الذي يغطي الأراضي، بينما كان دم حسين الشركستاني ينزف بغزارة من يده.. فما أن وصلت العربة إلى المركز الصحي، وشاهد كل من فيه الجرح وهو ينزف بغزارة من حسين الشركستاني، سارع الجميع إلى العربة وحملوه إلى داخل المركز، وأعلنت حالة طوارئ به، فقام رئيس المركز بإرسال بعض العاملين لاستدعاء الجراح من منزله، وتجهيز غرفة لإجراء العملية بسرعة.

.. وبعد ثلاث ساعات بأكملها، كانت العملية قد أجريت، واستطاعوا إنقاذ حسين الشركستاني من موت محقق، ولكن نجم عن ذلك بتر ذراعه.

علق الجراح بعد إجراء الجراحة في لهجه تأنيب :

كيف تركتوا الدم ينزف من ذراعه طوال هذه المدة؟! فلماذا لم تسارعوا إلى الطبيب الموجود لديكم بالقرية؟

لقد كان يمكنه بسهولة أيقاف النزيف على الفور، فيمنع تلوث الجرح، وما كنا نضطر إلى بتر يده.

فقال أحدهم موضحا :

لأننا سمعنا ياسيدى أن كل من يقوم هذا الطبيب بعلاجه يمرض بمرض خطير أو يموت بعد مدة وجيزة .

فصاح طبيب شاب يعمل بالمركز، وهو لا يصدق :
ماذا تقول أيها الرجل ؟!. من الذى أطلق هذه الشائعة على هذا الطبيب. أنه
طبيب ماهر، ولقد كنت زميلا له فى إحدى المستشفيات بمدينة القاهرة.
فما أن سمع الجميع بذلك منه، حتى انتابتهم جميعا حالة من الدهول، وعلق فى
أثرها مدير المركز قائلا فى أسى شديد :
من الواضح. أن هناك شخص حاسد قام بهذه الوشاية. وكان ضحيتها للأسف
كبير قريتكم حسين الشر كستانى الذى بترت ذراعه!!

